المغرب والدعوة إلى الاحتفال بذكرى القرن الرابع عشر الهجري

ان الاسلام رسالة خالدة ، وقد ارسل الله نبيه الكريم رحمة للعالمين كافة ، لذلك كانت الدعوة الى الاسلام واجبا دينيا حتى يبلغ المسلمون عقيدة الاسلام وشريعته الى امم الارض قاطبة ، وكانت عظمة الاسلام فى سرعة انتشاره فى العالم كله ، تلك السرعة التى اذهلت المؤرخين وكانت مثار اعجاب العالم كلـه . ويرجع ذلك الى صدق رسالة الاسلام وقوة عقيدة المسلمين وايمانهم برسالتـه واحقيتهـا وعدالتهـا وانسانيتها ، فالاسلام آخر الاديان ، رسالة من عند الله تعالى ورحمة بالبشر اجمعين . وانقاذا لهم مـن الضلال ، وارشادهم الى خير الدارين .

على أن هناك عاملا فعالا فى انتشار الاسلام ووعى رسالته ، والاستجابة له ، وهو ما قام بـه دعاة المسلمين من علماء ، وفقهاء ، ومعلمين ، وحكام وتجار ، وعمال فى حمله الى مختلف البيئات والبقاع متخذين من هدف الرسول عليه السلام مثلهم الاعلى، ومن سلوكهم المستقيم نموذجا صادقا لما يدعو اليه الاسلام ، من استقامة السلوك وصـدق الايمـان والاخلاص للحق والوفاء للعدل ، فلا بدع ان نـرى الاسلام منذ السنوات الاولى من بزوغ فجره يتجاوز الجزيرة العربية الى اصقاع آسيا وافريقيا واوربا وان يصبح كل مسلم مسؤولا عن الدعـوة الى الاسلام مكلفا بتبليغها حسب طاقته ، وكان المغرب الاقصى بصفته ثغرا من ثغور الاسلام ، ورباطا لحماية الاسلام، ومركزا للحضارات والثقافات معبرا للدعوة الاسلامية الخالدة سواء الى اوروبا عن طريق الاندلس ، او الى افريقيا الغربية عن طريق الصحراء .

وهكذا نمت الدعوة الاسلامية فى المغرب وحمله دعاته الى العالم كله ، سواء بأساليـب الموعظـة وتحفيظ القرآن الكريم على يد الفقهاء والمعلمين ، او بصدق المعاملة على يد التجار والعمال او بعدالته على يد القضاة او بأساليب العلم والفلسفة والمنطق فى جامعات اوروبـا .

وقد اقتضى جهد نشر الدعوة الاسلامية الذى اضطلع به علماء المغرب ضرورة كتابة المؤلفات البسيطة والمنظومات السهلة وتبسيطها وشرحها واذاعتهـا بمختلف اللغات واللهجات كما اقتضى ذلك ان يكونوا نموذجين فى سلوكهم واخلاقهم ، وان يؤطروا الجماعات الاسلامية فى عقيدة سليمة وتربية صوفية سنية .

ولقد التزم هؤلاء جميعا فى دعوتهم ان تكـون طبق النهج القرآنى ، والحديث النبوى الشريف ، فلم يزيغوا عن هذا الطريق قط بل ظلوا اوفياء له كاشـد ما يكون الوفاء مخلصين لتعاليم الاسلام فى السر والعلن والسراء والضراء كما ظلوا مخلصين فى عملهم يحاسبون انفسهم على ما يقدمون من اعمال وخدمات للانسانية بفضل الدين الاسلامى وجعلوا من بداية كل قرن فرصة للتأمل والاعتبار ، والانطلاق فى السير

الهادف والى تركيز الاسلام ، فالله تعالى يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها . وفعلا فعلى راس كل قرن يظهر مجدد من عظماء الاسلام ، وما اكثر اسماءهم فى سجل التاريخ الذهبى للامة الاسلامية ، يجددون على اساس الهدى القرآنى الذى تدفق من جرائه نبعا صافيا وقد ظل دعاة الاسلام فى كل مكان يجددون وسائل تبليغ الدعوة ونشرها ، لغة وتعبيرا واسلوبا فى العمل والقدرة على مواجهة التحديات ، مخلصين لتعاليم الاسلام غير مبدلين ولا مغيرين .

واذا كان يعسر أن نذكر فى هذا العرض ولو القليل من اعمال سلفنا الصالح فان من المستحسن ان ننقل الرسالة البليغة التى وجهها سلطان المغرب الحسن الاول (قدس الله روحه) المتوفى سنة 1311. الى الامة المغربية فى مطلع القرن الرابع عشر تقديرا لجهود ملك عظيم فى حماية الاسلام والدفاع عنه ونص هذه الرسالة بعد البسملة والسلام .

هذه وصية مؤسسة على قواعد شرعية . ونصيحة دينية . للولاة والرعية . صدرت من عبد الله الموفق بفضل الله . المتوكل عليه فى سره ونجواه ، امير المومنين بن امير المومنين بن امير المومنين . (ثم الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد بن عبد الرحمن ، الله وليه 1291) ايد الله ملكه ، وأجرى فى بحار اليمن والسعادة فلكه وجعل فيما يرضيه اوامره ، ونصره وجنده وعساكره ، الى معاشر اهل الاسلام وامة النبى عليه الصلاة والسلام وفقكم الله وهداكم وبركوب سفينة الشريعة أنجاكم ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد فلتعلموا ايها المسلمون ان الله جل جلاله بمقتضى حكمته بعث النبيئين مبشرين ومنذرين . واناط بهم احكام الشرائع ابلاغا وتبليغا وجعلهم نوبا عن سيد المرسلين ، سيدنا ومولانا محمد لبنة التمام عليه وعليهم الصلاة والسلام قال مولانا فى محكم كتابه المبين : « واذا اخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم » الآية ولما بعثه الله تبارك وتعالى قام بما حمله من أعباء الرسالة ، وبلغ ما أمر بتبليغه وانقذ الامة من الضلالة الى ان صار الدين مشيد الذرى محكم العرى وتبوات خير امة من قصوره حصنا حصينا ، اثره نزل قوله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ثم أقام الله سبحانه من بعد الخلفاء والائمة المرضيين الحنفاء فمهدوه تمهيدا وجددوه فى كل عصر تجديدا ، واقتفى اثرهم أمراء الاسلام السالكون نهجهم الاقوم فى كل مقصد ومرام فنصحوا لله ولرسوله والمومنين ، وبذلوا مجهودهم فى مرضات رب العالمين، فأقاموا شريعته حتى لمعت بوارقها ، وشيدت باحياء مراسمها بعد ما شابت مفارقها ، الى أن صار الدين غضا طريا وقطفوه دانية بكرة وعشيا ، رحمهم الله . وهكذا على راس كل مائة يبعث الله لهذه الامة الاحمدية من يجدد معالم الدين ، ويصقل مرآته من صدى التعمق فى بيداء المضلين وحيث كانت هذه السنة هى آخر المائة وتوفرت دواعى النصيحة بمفتتح راس المائة القابلة لهذه الفئة تعين لذلك تنبيه الغافل وارشاد الضال عملا بما كان عليه السلف لنكون بعدهم لهم خير خلف واداء لحق الواجب واخذا بطرق الامتثال فقد قال صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المومنين وعامتهم وعليه فاعلموا ايها الناس ان اول ما يجب على المكلف المتمكن من النظر فى الادلة معرفة ما يجب فى حق الله وفى حق الرسول بالبراهين النقلية والعقلية ليخرج من ربقة التقليد ، ويشرق باطنه بأنوار التوحيد فتقوى لديه بواعث العبادة التى بها أمر الله عباده ، فان الله سبحانه انما خلقنا لمعرفته وامرنا بتوحيده وبعث الرسل عليهم السلام لبيان وعده ووعيده ، قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » وقال سبحانه : « فاعلم انه لا اله الا الله » وقال تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » وقال : « وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون » وقال تعالى : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب » وقال تعالى : « يا ايها النبىء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » الآية ، وقال : « انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه

بكرة واصيلا » والايمان أن تومن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتومن بالبعث كما فى صحيح البخارى جوابا منه صلى الله عليه وسلم لجبريل والتوحيد المعبر عنه بالمعرفة المذكورة هو الذى حض عليه الله ورسوله كما أمر فتعلموه وعلموه وحرروا القصد والنيات فى العبادات قال عليه السلام : (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليها) والعلم بأحكام العبادة به تحصل الافادة.

ففى الحديث عنه عليه السلام : (ما عبد الله بأفضل من فقه فى الدين) واركان الدين ما ورد عن سيد المرسلين (بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع اليه سبيلا) فاساس الدين ، التوحيد وملاكه معرفة الله والرسول كما يجب اذ هى شرط والباقى بدونها لا يفيد .

الركن الثانى اقامة الصلاة بالطهور واداؤها فى وقتها كما أمر الله اذ هى عماد الدين وعصام اليقين وسيدة القربات وغرة الطاعات ، قال تعالى : « ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا » وقال عليه السلام : (أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فان قبلت قبل سائر عمله وان ردت رد سائر عمله) وقال عليه السلام : (الصلاة من الدين بمنزلة الراس من الجسد) وقال عليه السلام : (خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضيع شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة) وكتب سيدنا عمر الى بعض عماله « ان اهم اموركم عندى الصلاة فمن حافظ عليها فهو لما سواها احفظ ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع » وقال بين الايمان والكفر ترك الصلاة وقال عليه السلام : (الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين فينبغى للمومن الاهتمام بأمرها والاعتناء بشأنها والمحافظة على شروطها وسننها ومستحباتها وقوعا واداء) ، قال تعالى : « واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وقال تعالى :

« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » وقال صلى الله عليه وسلم : (لا يقبل الله صلاة بغير طهور) وقال : (من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت اظفاره) وقال صلى الله عليه وسلم : (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة) وقال تعالى : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله » الآية وقال صلى الله عليه وسلم : (من غدا الى المسجد او راح أعد الله له فى الجنة نزلا) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (ان اعظم الناس اجرا فى الصلاة ابعدهم اليها ممشى فأبعدهم ، وحكم التارك لها عمدا القتل ، والجاحد الكفر فى القول الفصل ، قال سيدى خليل ، ومن ترك فرضا اخر لبقاء ركعة بسجدتيها من الضرورى وقتل بالسيف حدا ولو قال انا افعل وصلى عليه غير فاضل ويكفى فى ذم تاركها او مؤخرها عن وقتها ما ورد من الوعيد فى شأنه قال سبحانه : « فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات » الآية وفى الحديث : (من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان) وعنه عليه السلام : (من ترك الصلاة فقد اتى الكفر جهارا) وعنه (من ترك العصر فقد حبط عمله) وعنه (من جمع بين صلاتين بغير عذر فقد اتى بابا من ابواب الكبائر) وعنه (من ترك ثلاث جمع متهاونا طبع الله على قلبه) وعنه عليه السلام اتانى جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال « يا محمد ان الله عز وجل يقول انى فرضت على امتك خمس صلوات من اوفى بهن على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن كان له عندى بهن عهد أن ادخله الجنة ومن لقينى قد انتقص من ذلك شيئا فليس له عندى عهد ان شئت عذبته وان شئت رحمته » .

الركن الثالث من مبانى الاسلام الزكاة ، وقد قرنها الله بالصلاة فى آيات كثيرة ، والرسول فى احاديث شهيرة فكما ان الصلاة طهرة الابدان فكذلك الزكاة طهرة الاموال قال سبحانه : « الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا

بالمعروف ونهوا عن المنكر » وقال : « الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم راكعون » وقال : « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم والله سميع عليم » وقال صلى الله عليه وسلم : (الزكاة قنطرة الاسلام) وقال : (حصنوا اموالكم بالزكاة فانه ما ضاع مال فى بر او بحر الا بترك الزكاة فيه) وقال عليه السلام (ما من صاحب مال لا يؤدى حق الله فيه الا مثل له يوم القيامة شجاع اقرع له زبيبتان ياخذ بلهزمته يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله » الآية وعن ابى ذر موقوفا قال « بشر الكانزين برضف يحمى عليهم فى نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدى احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه فيتزلزل » كما فى صحيح البخارى وعنه عليه السلام (مانع الزكاة يوم القيامة فى النار) وهى تجب فى خمسة اشياء مختلفات النعم والنقدين والركاز والمعادن والمعسرات ويلحق بهذا الركن فى الجملة زكاة الفطر فانها واجبة الاخراج على كل مسلم فضلت عن قوت يومه عن نفسه وعن كل مسلم يمونه بقرابة او رق او زوجية ووجوبها بالسنة على المشهور ففى الموطأ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر من رمضان » وفى الترمذى بعث صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى فى فجاج مكة « الا ان صدقة الفطر واجبة على كل مسلم » .

الركن الرابع الصيام الواجب على الانام قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » الآية وقال « شهر رمضان » ، الآية وقال صلى الله عليه وسلم : (من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) وقال صلى الله عليه وسلم (شهر رمضان كتب الله عليكم صيامه ، وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه) وقال عليه السلام (هذا شهر رمضان جاءكم تفتح فيه ابواب الجنة وتغلق فيه ابواب النار وتسلسل فيه الشياطين،وجزاء ثوابه لا يحصى) ففى الحديث (كل عمل ابن آدم يضاعف.الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف) قال الله عز وجل « الا الصوم فانه لى وانا اجزى به يدع شهوته وطعامه من اجلى ».

الركن الخامس حج بيت الله الحرام قال تعالى فيما نزل على نبيه تنزيلا : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ، وعن عمر رضى الله عنه (لقد هممت ان ابعث رجالا الى هذه الامصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين) قال ابن حجر ومثل هذا الحديث لا يقال من قبل الراى فيكون فى حكم المرفوع ومن ثم افتيت بأنه حديث صحيح وفى الحديث (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه) وقال تعالى : « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » وقال صلى الله عليه وسلم (الحج المبرور ليس له ثواب الا الجنة) وقال عليه السلام الحج تضعف فيه النفقة بسبعمائة ضعف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول (ان عبدا اصححت له فى جسمه ووسعت عليه فى معيشته تمضى عليه خمسة أعوام لا يفد الى لمحروم) وقال الحجاج والعمار وفد الله يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف لهم ما انفقوا الدرهم الف درهم،ولا ينبغى الحج لمن يضيع ما سواه من اركان الاسلام ، صلاة او غيرها مما يلحقه عليه فى الشرع تبعة الملام ، كما تفعل العامة اليوم فى عدم تحريها فى نفقة الحلال، ولا تقوم بما أوجب الله عليها من الاقوال والافعال .

اذا حججت بمال اصله سحت
فما حججت ولكن حجت العير

وقد نص العلماء رضوان الله عليهم فيما حرروه وذهبوا اليه ان الحاج اذا تحقق انه يخرج صلاة عن وقتها لعذر كمبد لم يجب عليه وقد كادت ان تترك هذه الدعائم ، ولا يوجد سائل عنها ولا حائم ، ونبذت الشرائع عيانا ، وارتكبت البدع اعلانا ، وصار امرها يتزايد فى كل حين والحق لا ناصر عليه يعين ، قال تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » وقد ظهر فى الناس من

المخالفة لامر الله واتيان ما حرم الله والتفريط فى جنب الله والاعراض عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يخشى معه من حلول عقاب الله ونقمته ، لولا حلمه وعفوه وسابق رحمته وقال تعالى « ولو يواخذ الله الناس بظلمهم » الآية نطلب الله ان يلهمنا والمسلمين لما يوجب رضوانه ، ويرشدنا لما يجلب امانه وغفرانه ، فان هذه الدار قنطرة الى الآخرة ، وسبيل لمن وفقه الله الى الوصول للمنازل الفاخرة ، والسعيد كل السعيد من استعمله الله فى اعمال صالحة ، والهمه الى اتباع سنة رسوله التى هى المتاجر الرابحة ، فخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، وتزود من تقوى الله وخير الزاد التقوى ، وقدم ما ينفعه من هذه الدار للاخرى وذكر فنفعته الذكرى ، فينبغى تكرير الوعظ والتذكير ، والتنبيه والتحذير ، ليلا تقسو القلوب ، بتوالى الذنوب « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » وفى الحديث عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة احيانا مخافة السآمة علينا ، ويجب الرجوع الى الله بالتوبة والاستغفار ، وتجديد نية الاخلاص ونفى الاصرار فالعمل بالسنة هو السبيل الموصل الى رضوان الله فالزموها ، واجتنبوا البدع والمنهيات واحذروها ففى الحديث عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة فيتأكد على كل من ولاه الله تعالى امرا ان ينظر لرعيته ، ويعمل على اخلاص عمله وتصحيح نيته ، ويرشدهم الى ما ينفعهم دنيا واخرى ويحملهم على ما يقربهم الى الله زلفى ، قال الله سبحانه : « وذكر فان الذكرى تنفع المومنين » وقال « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون» وذلك بعد أن يعمل العامل بطاعة ربه ، ويجعل سعيه بما يوجب الفوز بقربه ، فانه لا ينفع الوعظ فى ابناء جنسه الا بعد تطهير نفسه ، فليبدا العامل بنفسه ، فيصرفها عن هواها ويأمرها بما يامر به سواها ، ولا يكن ممن يدعو الى طريق البر وهو قد حاد عنه وخرج وانتصب لمعالجة غيره وهو الى من يعالجه احوج ، اذ بصلاح الولاة تصلح الرعية ، وتستقيم احوالها فى السر والعلانية ومن صلاحهم أن يكونوا مع من هو الى نظرهم اخوانا ، وعلى ما يقوى على الطاعة اعوانا فالمسلم اخو المسلم وان كان واليا عليه، واولى الناس باستعمال الرفق من ظهر فضل الله لديه ، وان لا يداهنوا اهل المعاصى ، بل يتقصوا احوال الدانى منهم والقاصى ففى الحديث الكريم يحشر يوم القيامة اناس من امتى من قبورهم الى الله تعالى على صورة القردة والخنازير بما داهنوا اهل المعاصى وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون ويستعين على ذلك بتقريب اهل الفضل والدين ، ويجتنب اهل الضلالة والمعتدين فان الطباع تسرق الطباع ، والمرء لمن غلب عليه تباع . قال فى الحكم لا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله ، وفى الحديث ما من امير الا وله بطانتان بطانة تامره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تالوه خبالا ومن وقى بطانة السوء فقد وقى واذا زكى الانسان نفسه واتقى ربه اصلح الله رعيته ، وبلغه من كل خير امنيته ، فان راس المال تقوى الله وسبيل النجاة اتباع سنة رسول الله قال الله سبحانه وتعالى : « ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله » وقال : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه » وقال : « ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا » وقال سيدنا على كرم الله وجهه قال النبى صلى الله عليه وسلم : (من اتقى الله عاش قويا وسار فى بلاد الله آمنا وحقيقة التقوى اتباع الاوامر واجتناب النواهى وان لا يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه) وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم (كلكم راع ومسؤول عن رعيته والسعيد من سعدت به رعيته ولا سعادة اكبر من العدل فى الرعية وحسن السيرة فيها والعمل بما ينجى من عذاب الله ، قال سبحانه : « فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » وقال سبحانه : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وقال سبحانه وتعالى : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا

ويحذركم الله نفسه » وقال سبحانه وتعالى : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » وقال سبحانه : « ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » وافضل اعمال الولاة العدل ونصر المظلوم وقمع الظالم فانما السلطان ظل الله فى أرضه يأوى اليه القوى والضعيف وينتصر به المظلوم وقال سبحانه « وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم . واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به » وقال : « ان الله يحب المقسطين » وقال عليه السلام : (ان المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهلهم وما ولوا) وفى الحديث : (الامام العادل المتواضع ظل الله فى الارض يرفع له عمل سبعين صديقا) وقال سبحانه : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله » وقد امر الله بالعدل ورغب فيه واخبر بكرامة صاحبه اذ به تحصل العمارة والامان ، فى جميع الاوطان والازمان ، وكما رغب فى العدل ورتب الاجر عليه نهى عن الجور والظلم وحذر منه واخبر بهلاك مرتكبه قال سبحانه : « يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما . ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا » وقال : « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون . واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » وقال عليه السلام : (الظلم ظلمات يوم القيامة) وقال (الظلم يذر الديار بلاقع) وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه (يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته فيما بينكم محرما فلا تظالموا) وقال (ومن اظلم ممن ظلم من لم يجد ناصرا غيرى) وقال (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وقال فى حجة الوداع (فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا) وفى الحديث (المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ، التقوى ها هنا) واشار الى صدره الشريف ويدخل فى الظلم ظلم اهل الذمة وما سموا اهل الذمة الا لانهم فى ذمة الاسلام يجب حفظهم والدفاع عنهم وتحرم دماؤهم واموالهم وقد اوصى عليه السلام بالوفاء لهم وحذر من ظلمهم ففى الحديث (من ظلم ذميا كنت له خصيما يوم القيامة ومن كنت خصيمه فلجت عليه بالحجة) وفيه (من قتل معاهدا فى غير كنهه حرم الله عليه الجنة) وفيه اذا ظهرت الفاحشة كانت الرجفة واذا جار الحاكم قل المطر واذا تركوا الجهاد رهبة البسهم الله سيم الخسف ووسمهم بالصغار) ففى الحديث (ما ترك قوم الجهاد رهبة الا ذلوا) وفى الحديث (من جرد ظهر مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان) وفيه (من روع مؤمنا لم يومن الله روعته يوم القيامة ومن سعى بمومن اقامه الله مقام خزى وهوان يوم القيامة) وعنه عليه السلام (من اعان فى قتل امرىء مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله) وفى الحديث (اللهم من ولى من امر امتى شيئا فرفق بهم فارفق به ، ومن ولى من امر امتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه) وعنه عليه السلام (ايما احد استرعى رعيته فلم يحطها بالامانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله التى وسعت كل شيء) وعنه عليه الصلاة والسلام (من اخون الخونة تجارة الوالى فى رعيته) وفى الحديث (لكل شيء آفات تفسده وآفات هذا الدين ولاة السوء) وعنه صلى الله عليه وسلم (ما عدل وال اتجر فى رعيته) وعنه عليه السلام (من ولى شيئا من امور المسلمين لم ينظر الله فى حاجته حتى ينظر فى حوائجهم) وعنه عليه الصلاة والسلام (ما من امام او وال يغلق بابه دون ذوى الحاجات والخلة والمسكنة الا اغلق الله ابواب السماء دون حاجته وخلته ومسكنته) وفيه (ما من امير يؤمر على عشرة الا سئل عنهم يوم القيامة) وفيه (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة) واعلموا ان ما ينزل بنا من الشدائد والمصائب انما هو من عدم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وارتكاب الذنوب ، والاصرار على العيوب وقد حذر الشارع عليه الصلاة والسلام وانذر ، ووعظ وذكر ورتب على كل ذنب عقوبة فقال جل ثناؤه : « ولتكن منكم امة

يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » وقال تعالى : « والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة » الآية وقال عز وجل « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ومن المنكر السكوت عن المنكر لمن يقدر على تغييره لقوله تعالى : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس ما كانوا يفعلون » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لتامرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم) .

ومن المنكر الذى لا يسع التغافل عنه والتساهل فى امره هذا الخطب النازل الوقتى الذى هو المجاهرة باستعباد الاحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعى فان المستعبد لحر هو احد الثلاثة الذين لا يقبل الله عنهم صلاة فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة من تقدم قوما وهم له كارهون ورجل اتى الصلاة دبارا) والدبار ان ياتيها بعد ان تفوته (ورجل استعبد حرا) وهو ايضا احد الثلاثة الذين قال الله تعالى فيهم انه سبحانه خصمهم فعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل اعطى بى عهدا ثم غدر ورجل باع حرا فاكل ثمنه ورجل استاجر اجيرا فاستوفى ولم يوفه) وقال عليه السلام (ما من قوم يظهر فيهم الربا الا اخذوا بالسنين وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا اخذوا بالرعب) وقال عليه السلام (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى هم اعز واكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه الا عمهم الله بعقاب) وقال صلى الله عليه وسلم (مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر من قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم) وقال عليه السلام (خمس ليس لها كفارة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت المومن والفرار من الزحف ويمين فاجرة يقطع بها مال بغير حق) وفى الحديث (خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر ولا ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال الا منعوا القطر واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس الله عليهم المطر) وفى الحديث (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مومن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن) وفيه الزنى بريد الفقر وفيه (من شرب مسكرا سقاه الله من طينة الخبال) قيل وما طينة الخبال يارسول الله قال (عصارة اهل النار وصديدهم) وقال (من شرب مسكرا لم يقبل الله منه صلاة اربعين يوما) وقال (من غصب قيد شبر من ارض طوقه يوم القيامة من سبع ارضين) وقال عليه السلام (من غشنا فليس منا والمكر والخداع فى النار) وقال عليه الصلاة والسلام (اذا فعلت امتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما واطاع الرجل زوجته وعق امه وبر صديقه وجفا اباه وارتفعت الاصوات فى المساجد وكان زعيم القوم ارذلهم واكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الامة اولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء او خسفا او مسخا) وعنه عليه السلام (اتقوا السبع الموبقات اى المهلكات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات وقد احل الله البيع وحرم الربا وامر بالكسب وجعله لنيل الفضل سببا) قال تعالى : « واحل الله البيع وحرم الربا»وقال«وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون» وقال « ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم » وقال صلى الله عليه وسلم (التاجر الصدوق يحشر مع الصديقين والشهداء) وقال عليه السلام من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم فى طلب المعيشة) وقال عليه السلام (طلب الحلال فريضة على كل مسلم) وقال تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مومنين » وفى الحديث (درهم ربا ياكله الرجل وهو يعلم اشد عند الله من ست وثلاثين زنية فى الاسلام ومن نبت لحمه من ربا فالنار اولى به) وفيه (لعن الله آكل الربا وموكله

وشاهده وكاتبه هم فيه سواء) وفيه (أتيت ليلة أسرى بى على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم) فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اكلة الربا) وفى الحديث (اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنى ان الرجل قد يزنى فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه) وفيه (أتدرون ما الغيبة ذكرك أخاك بما يكره ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته) وقال الله سبحانه : « ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله » الآية وفى الحديث (ان الله لا يحب الفاحش المتفحش ولا الصياح فى الاسواق وفيه خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله) وفيه (ان الله تعالى حرم عليكم عقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) وفيه (ان الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله امركم ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) وفيه (من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فاعملوا بما يتلى عليكم من آيات الله تهتدوا . واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم تسعدوا . وسابقوا الى سلوك نهج الخلاص وتداركوا اعمالكم بالتوبة والاخلاص واركبوا من طاعة الله ورسوله سفن النجاة ، وتقنعوا من الاعمال الصالحات بالبضاعة المجزاة ، واقيموا شعائر الاسلام بينكم واظهروها . وزكوا انفسكم بطاعة الله وطهروها ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون . ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وبادروا لها مبادرة الغريق لطلب النجاة ، وانتهزوا فرصتها قبل هجوم هادم اللذات ، وهى ان صادفت محلها تجب ما قبلها والتائب من الذنب كمن لا ذنب له) وفى الحديث (توبوا الى الله فانى أتوب الى الله كل يوم مائة مرة وفيه ان للتوبة بابا عرض ما بين مصراعيه ما بين المشرق والمغرب لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها وفيه من تاب قبل ان يغرغر قبل الله منه).

ونعهد الى عمالنا وولاة امرنا ان يلزموا انفسهم واهليهم طاعة الله ويدلوا رعيتهم عليها ويعملوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضوهم عليها قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا » وان يلزموا كل قرية ومدشر ودوار مشارطة طالب علم يعلم أولادهم ويفقههم فى دينهم ويقيم لهم الصلوات الخمس فى أوقاتها ويحضهم على الاذان الدال على ايمان الدار . وهو للمومنين شعار . وان ينبهوا على رد البال للطريق ليلا ونهارا وتعاهد اماكن الخوف منها رواحا وابتكارا . وينصبوا لاهل العبث الارصاد . ويكمنوا لهم بكل واد ، حتى تصير الدماء بذلك محقونة . والفتن محسومة والاموال مصونة . فان قطع الطريق واخافة المسافرين من اقبح السيئات . كما ان اماطة الاذى عن الطريق من احسن الصالحات ــ ففى الحديث الكريم : (عرضت على اعمال امتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن اعمالها الاذى يماط عن الطريق . وان يتفقدوا احوال الفقراء الذين قدرت عليهم مواد الارزاق . والبسهم التعفف ثوب الغنى وهم فى ضيق من الاملاق . وبصدقة التطوع التى هى للحسنات كالام الولود . فهى التى تتيقظ لحراسة صاحبها والناس رقود . وبها تستنزل الارزاق وتسبغ الآلاء . . وتطفىء الغضب ولا يتخطاها البلاء ، اختص الله بها بعض عباده لمزية افضالها . وجعلها سببا للتعويض بعشر امثالها) . ففى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم (من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فكأنه انما يضعها فى كف الرحمن يربيها له كما يربى احدكم فلوه او فصيله حتى تكون مثل الجبل) وفيه (ما من رجل يتصدق فى يوم او ليلة الا حفظ من أن يموت من لدغة او هدمة او موت بفتة) وفيه (ان الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار) وفيه (اتقوا النار ولو بشق تمرة) وفيه (اعطوا السائل ولو جاء على فرس) اى لا تردوه ولو جاء على حالة تدل على غناه وورد استنزلوا الرزق بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكاة وليعاقبوا الفرقة التى تراخت فى الدين وخالفت

سنة سيد المرسلين ولم يتعلموا ما يقيمون به قواعد اسلامهم ولا سلكوا سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل ائمة الدين واعلامهم ففى الحديث (انما العلم بالتعلم وهو واجب اذ لا يحل لامرىء مسلم أن يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه) وقد قال سبحانه وتعالى « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » وقال تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم » ولما اخذ الله العهد على العامة ان يتعلموا اخذ العهد على اهل العلم ان يعلموا فقال سبحانه « واذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فأولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم » وقال صلى الله عليه وسلم (من كتم علما الجمه الله بلجام من نار فتعلموا وعلموا فان من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم) قال الله سبحانه « واتقوا الله ويعلمكم الله » وفى الحديث (اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل) « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » وقال « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وقال صلى الله عليه وسلم فى وصية لبعض اصحابه رضى الله عنهم (كن فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل واعدد نفسك فى الموتى واذا اصبحت فلا تنتظر المساء واذا امسيت فلا تنتظر الصباح) وقال (يا بنى احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة) وقال فى وصيته لمعاذ بن جبل (يا معاذ بن جبل اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) قال قلت يارسول الله زدنى قال (كف عنك هذا) واشار الى لسانه قلت او انا لمواخذون بما نتكلم به قال (ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم) او قال (على وجوههم الا حصائد السنتهم) وفيه (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه) وفيه (احب الاعمال الى الله حفظ اللسان) وفيه (رحم الله امرءا تكلم فغنم او سكت فسلم) وفيه (ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم) وفيه (اكثر خطايا الانسان من لسانه) وفيه (من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له الجنة) فليبلغ الشاهد الغائب ، الهمنا الله واياكم الاعمال الصالحات ، وارشدنا لمناهل الخيرات وجعلنا من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وبعد ، فان هذه الوثيقة دالة على عناية المغرب بالاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، وعلى ما قدمه المغرب عبر تاريخه من عمل متواصل لنشر الاسلام بأسلوب محكم وكفاح متواصل .